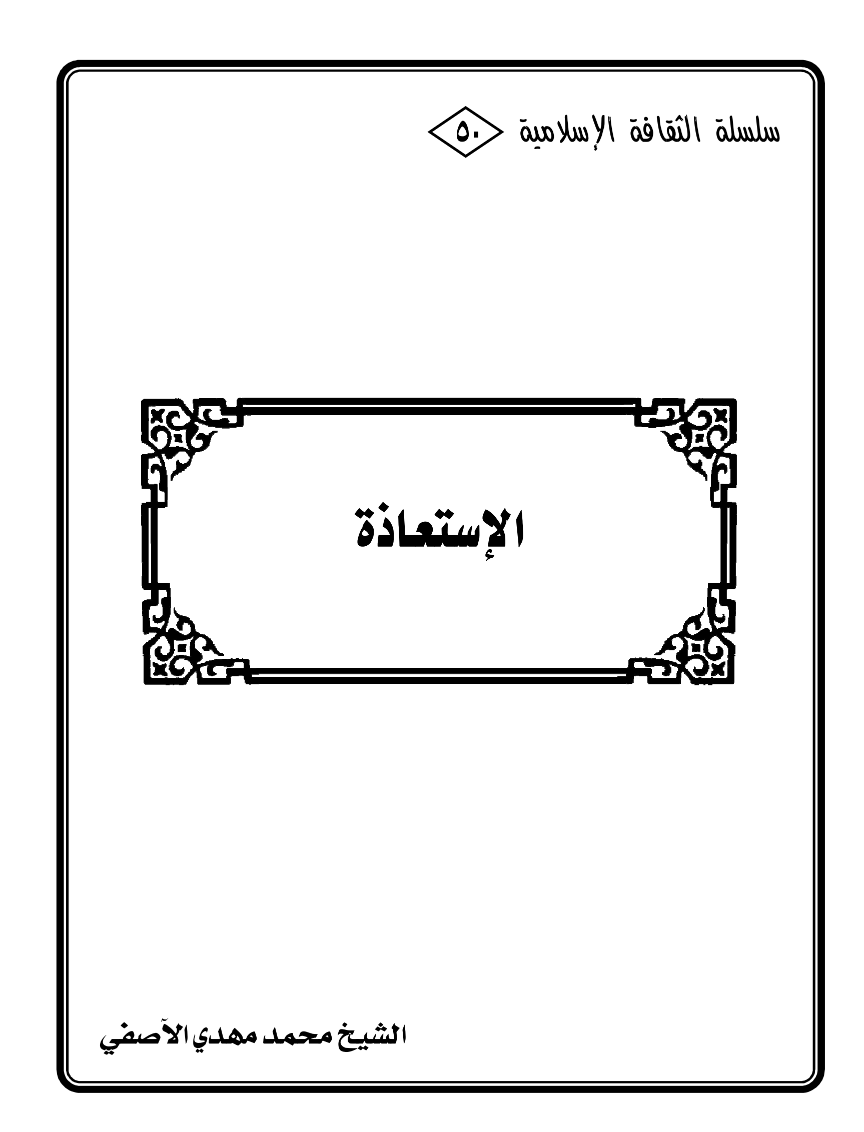


مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات

الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... الإستعاذة

المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الأولى: .... ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

الكمية .... ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾

الأعراف: ٢٠٠ ـ ٢٠١

من المفاهيم الأصيلة في الثقافة الإسلامية (الاستعاذة) من الشيطان، وفيما يلي نتحدث إن شاء الله عن هذا الموضوع ضمن ثلاثة محاور:

الاستعاذة

المستعاذ منه

المعاذ

١ـ الاستعاذة

عندما يواجه الإنسان خطراً لا يقوى على دفعه عن نفسه يلجأ إلى نقطة آمنة قوية تقوى على حمايته ودفع الضرر عنه ويفر من منطقة الخطر التي يتعقبه فيها العدو إلى منطقة آمنة لا يستطيع العدو أن يتعقبه فيها.

وهذا اللجوء والفرار من منطقة الخطر إلى منطقة الأمان هي الاستعاذة، وهي طلب اللجوء والحماية والأمن، والاستعاذة مفهوم شائع قديماً وحديثاً، فقد كان من عادة العرب أن يحموا من يحتمي بهم ويدخل في حمايتهم ويدافعوا عنه واشتهر فيما

بينهم المثل العربي الشائع (أحمى من مجير الجراد)، في قصة معروفة.

وهو اليوم مفهوم شائع في العلاقات الدولية في حالات اللجوء السياسي والإنساني، وهو مشتق من نفس المفهوم والمعنى بتطبيقات معاصرة وحديثة. وكما يلجأ الإنسان من العدو الذي يتعقبه ليفتك به إلى ملجأ أمين يعوذ به ويحميه، كذلك جعل الله تعالى للإنسان ملاذاً يلوذ به وملجأ يحتمي به من سائر الشرور والأخطار المحدثة والتي تهدد حياته وسلامته.

فالأمراض والأوبئة من الشرور التي تهدد حياة الإنسان، وقد جعل الله تعالى في الطب والتعليمات الصحية ملجأ للإنسان يحتمي به من فتك الأمراض والأوبئة.

والشرور والأخطار التي تهدد أمن الإنسان وسلامته على نحوين:

شرور كونية خارج النفس كالأمراض والأوبئة والصواعق والزلازل والفقر والجدب والأزمات الاقتصادية والهزائم

العسكرية، وشرور تعمل داخل النفس وهي الأهواء والشياطين التي توسوس داخل النفس.

وقد ورد ذكر الاستعاذة في القرآن الكريم في آخر سورتين من القرآن الكريم، وهما سورة (الفلق) وسورة (الناس)، وفيهما يأمرنا الله تعالى بالاستعاذة من هذين النوعين من الشرور، وهما الشرور الكونية خارج دائرة النفس، والشرور التي تعمل داخل النفس، وهي الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس.

وسورة (الفلق) تخص الاستعاذة من القسم الأول من الشرور: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * من شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾.

وسورة (الناس) تخص النوع الثاني من الشرور، وهي الشرور العاملة داخل النفس الشريرة: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ**﴾.

وبالشرح الذي قدمنا لمعنى الاستعاذة واللجوء وطلب الحماية والأمن يتضح لنا أن الاستعاذة من مقولة (الفعل)، وليس من مقولة (القول)، فلا تحقق الاستعاذة في حياة الإنسان شيئاً إذا اقتصرت على القول، ولم يكن في هذا القول (طلب) أو (فعل).

٢. المستعاذ منه

يعوذ الإنسان بالله في حياته من ثلاثة:

١ ـ الفتنة

٢ ـ الهوى

٣ ـ الشيطان

مثلث الابتلاء:

وهذا هو مثلث الابتلاء في القرآن:

(الفتن)[1] هي كل المغريات الموجودة في واقع حياة الإنسان

(١) تطلق الفتنة في القرآن على العوامل المغرية كالمال والجنس الآخر كما تطلق على العوامل الضاغطة كالفقر والظلم. يقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء: ٣٥.

(خارج النفس) كـ (المال) و(الواقع) و(الأزواج) و(البنين) و(البنات) و(المراكب).

وقد جمع الله تعالى طائفة من الفتن في آية آل عمران. يقول تعالى: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾**[1].

وهذا هو الضلع الأول من مثلث الابتلاء.

والضلع الثاني من هذا المثلث (الأهواء)، وهي مجموعة الغرائز والشهوات والرغبات الكامنة في نفس الإنسان، كالميل نحو الجنس الآخر وحب المال، وحب الدنيا وحب الموقع وحب الأزواج والبنين وما أشبه ذلك.

يقول تعالى: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ**

(١) آل عمران: ١٤.

يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وبين الفتنة والهوى تجاذب، فإن الفتن تجذب الأهواء، والأهواء تنجذب إلى الفتن.

وهذا التجاذب يجعل من تزاوج الفتنة والهوى عاملاً قوياً وفاعلاً في حياة الإنسان، يدفع الإنسان إلى تجاوز حدود الله تعالى، وارتكاب المعاصي، والانحراف من صراط الله المسقيم، والسقوط في مخالفة الله تعالى، وقد ورد في الدعاء الاستعاذة من الأهواء بالله: (اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر... ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى... وسوء الولاية لمن تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، أو أن نعضد ظالماً، وان نخذل ملهوفاً، أو نروم ما ليس لنا بحق، أو نقول في العلم بغير علم)[2].

(١) الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) الدعاء الثامن من الصحيفة السجادية.

وهذا هو الضلع الثاني من هذا المثلث.

والضلع الثالث من هذا المثلث هو الشيطان. ودور الشيطان الأساسي هو الوساطة بين الفتنة والهوى، فيزين الفتن للأهواء، ويهيج (الأهواء) ويثيرها تجاه (الفتن)، وهذه هي مهمة الشيطان الرئيسية في تضليل الإنسان وانحرافه.

يقول تعالى: ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**﴾[1].

- ﴿**الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**﴾[2].

- ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾[3].

وهذا هو الضلع الثالث من مثلث الابتلاء.

وسلطان هذا المثلث رهيب على الإنسان إذا وقع الإنسان في حصاره. ويعلمنا الله تعالى في كتابه أن نعوذ به تعالى من كل

(١) النساء: ١٢٠.

(٢) محمد: ٢٥.

(٣) فصلت: ٢٥.

واحد من العوامل الثلاثة التي تحدق بحياة الإنسان.

وفيما يلي نتحدث عن العامل الثالث في هذا المثلث وهو الشيطان.

عداوة الشيطان للإنسان:

يقرر القرآن أن الشيطان عدو للإنسان﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[1].

وهذه حقيقة كبيرة يقررها القرآن في علاقة الإنسان بالشيطان فيأمرنا القرآن أن نتخذه عدواً، كما يعادينا. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾[2].

ويتبع الشيطان أساليب ماكرة وخبيثة كثيرة في تضليل الإنسان وإغوائه. ففي الدعاء المعروف الوارد عن أهل البيت عليهم السلام في نهار شهر رمضان إشارة إلى طائفة من أساليب الشيطان ووسائله الماكرة، (وأعذني من الشيطان الرجيم وهمزه، ولمزه،

(١) يس: ٦٠.

(٢) فاطر: ٦.

ونفثه، ونفخه، ووسوسته، وبطشه، وتثبيطه، وكيده، ومكره، وحبائله، وخدعه، وأمانيّه، وغروره، وفتنته، وحيلته، ورجَله، وأعوانه، وأشياعه، وأوليائه، وشركائه، وجميع مكائده).

ومعرفة أساليب الشيطان ووسائله في إغواء الناس، وتضليلهم مفيدة جداً، فإن معرفة أساليب العدو ووسائله في الفتك والبطش تفيد في إحباط هذه الوسائل وتفنيدها وتعطيلها.

ولذلك نجد أن القرآن يعطي اهتماماً ملحوظاً لكشف أساليب الشيطان ووسائله في تضليل الناس وإغوائهم.

ونحن نذكر إن شاء الله بعض هذه الأساليب والوسائل، بقدر ما يتسع له صدر هذا الحديث.

أساليب الشيطان:

١ ـ من هذه الأساليب أسلوب (الخطوات) التي يتبعها الشيطان في تضليل الناس، فلا يدعو الشيطان الناس إلى عبادته مرة واحدة، وإنما يستدرجهم إلى عبادته وطاعته (خطوة، خطوة)... فإذا وقعوا في شركه استحوذ عليهم.

ويحذّرنا الله تعالى من إتباع خطوات الشيطان، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ**﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾[2].

٢ ـ ومن أساليب الشيطان أنه يحاصر ضحيته، حتى يطوقه، ويسدّ عليه سبيل الفرار، فإذا حاصره ضيّق عليه الحصار بالتدريج، حتى تكون الضحية في يده وتحت أمره بشكل كامل، لا يملك طريقاً للفرار والخروج من الحصار.

ويوضح القرآن هذا الأسلوب من أساليب الشيطان: ﴿**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[3].

---

(١) النور: ٢١.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

(٣) الأعراف: ١٦ ـ ١٧.

والشيطان يقعد على طريق الإنسان من كل جانب، ليسد عليه الطريق إلى الله.

روى أحمد في المسند عن سبرة ابن أبي الفاكه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرافه، فقعد له في طريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له طريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال، فقال أتقاتل فتقتل، فتسلم المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد).

٣ ـ ومن أساليب الشيطان (الرصد) أنه يرصد ضحيته، من حيث يراه الشيطان، ولا يراه الإنسان، ومهمة الراصد استهداف الضحية حينما ينكشف له في مرماه فيرميه، وينكشف الإنسان للشيطان، ويتجرد من الدفاع والمقاومة في ساعات الغفلة، فيصيبه الشيطان، يقول تعالى:

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا

الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[١].

٤ ـ ومن أساليب الشيطان الإغراء والتحريك، يقول تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾**[٢].

والأز كما يقول ابن عباس: (الإغراء) والأز التحريك الشديد والتهيج الشديد، ولذلك يقال لغليان القدر (الأزيز)، والشيطان يهيج ضحيته، ويحرّكه، ويثيره إثارة شديدة، في الغضب والشهوة، حتى يستحوذ عليه.

٥ ـ ومن أساليب الشيطان: إنه يَعد ضحيته ويمنّيه ويخدعه بالوعود والأمنيات الكاذبة، فيدفعهم إلى السقوط.

فإذا أسقط الضحية لا يجد من وعود الشيطان وأمانيّه شيئاً، يقول تعالى:

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[٣].

(١) الأعراف: ٢٧.

(٢) مريم: ٨٣.

(٣) النساء: ١٢٠.

ورد عن الصدوق في المجالس عن الصادق عليه السلام: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾، (قال إبليس): فمن لها؟ فقال الوسواس الخناس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم، فإذا وقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها[1].

وعن ابن مسعود: (إن للشيطان أمة وهي الإيعاد بالشر، وللملك أمة وهي الوعد بالخير، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأول فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم[2].

يقول القرآن: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾[3].

ويقول تعالى:

﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾.

---

(١) بحار الأنوار ٦٠: ١٩٧.

(٢) بحار الأنوار ٦٣: ١٤٢.

(٣) المائدة: ١١٩.

٦ ـ ومن أساليب الشيطان الاستفزاز، وهو الاستخفاف، وإذا استخف الشيطان ضحيته هان عليه أن يحركه ويوجّهه كيفما يريد، فإنما يمسك الإنسان عقله ووعيه وضميره وخبرته وحكمته، فإذا جرّده الشيطان منها، واستخفّه سَهُل عليه أمر الإنسان، ومكّنه الإنسان من نفسه، عندئذ يثيره ويحركه، ويهيجه كما يجب، ويستحوذ عليه كما يريد.

يقول تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[1].

٧ ـ ومن أساليب الشيطان التسويل والإملاء، يقول تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[2].

و(التسويل) التسهيل، و(الإملاء): الإمداد في الآمال والأماني.

ومعنى الآية الكريمة: إن الشيطان يُسهّل لهم اقتراف الذنوب

---

(١)الإسراء: ٦٤.

(٢) محمد: ٢٥.

ومعصية الله عزّوجلّ، ويُمد في آمالهم وأمانيهم، ويطول في نفوسهم الآمال، حتى ينسوا الموت فتستغرقهم عندئذ الدنيا، وتصرفهم الدنيا عندئذ عن هموم الآخرة وما بعد الموت.

٨ ـ ومن أساليب الشيطان (النزغ).

يقول تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، والنزغ الإفساد، ومنه﴿نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِـي وَبَـيْنَ إِخْـوَتِي﴾، وإذا أفسد الشيطان الإنسان أمكنه ان يستحوذ عليه وتمكن منه.

٩ ـ ومن أساليب الشيطان التزيين، فيزين الفتن للأهواء، كما يهيج الأهواء تجاه الفتن، والتزيين من وسائل الشيطان الخبيثة والغريبة. فقد يكون الحلال والحرام من سنخ واحد، فيزين الشيطان الحرام لضحيته، دون الحلال، كما يهيج الشيطان أهواء الإنسان وشهواته تجاه الفتن بشكل قوي ومؤثر.

يقول تعالى عن التزيين: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُـوا لَهُـم مَّـا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[1].

(١) فصلت: ٢٥.

وعن التزيين: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

وفي مقابل التزيين التحريك والتهييج، والشيطان يزين الفتن للأهواء، كما يثير الأهواء ويهيجها ويحركها باتجاه الفتن.

وعن هذا التهييج والتحريك والإثارة يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾[2].

وقد تحدثنا عن هذه النقطة من قبل.

١٠ ـ ومن أساليب الشيطان (الوسواس) و(الخنوس) يقول تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾.

والوسوسة أن ينفذ الشيطان إلى نفس الإنسان من المسالك والدروب الخفية بخفاء وتكتم لا يثير انتباه الإنسان وحذره،

(١) الحجر: ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) مريم: ٨٣.

ويختفي داخل نفس الإنسان، فيثير في نفسه من دون أن ينتبه الإنسان إلى موقع الشيطان من نفسه.

يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا**﴾[2].

ويقول تعالى في وصف الشيطان: ﴿**الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾. فالوسوسة هي النفوذ الهادئ والزاحف للشيطان إلى نفس الإنسان، واختفاء الشيطان في نفس الإنسان، والتأثير الخفي للشيطان في النفس.

والخنوس هو رجوع الشيطان وفراره إذا انتبه الإنسان إلى موقع الشيطان في نفسه، لئلا ينبه الإنسان إلى الخطر ويثير في نفسه الحذر.

---

(١) سورة ق: ١٦.

(٢) الأعراف: ٢٠.

فالشيطان يدخل في نفس الإنسان بخفاء وتكتم لا يثير انتباه الإنسان وحذره، فإذا انتبه الإنسان إلى موقع الشيطان في نفسه قفل راجعاً وفرّ، فإذا غفل عاد إلى موقعه الأول من النفس، وهذا هو الخنوس.

وقد روي عن رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس، وإذا نسي التقم، فذلك الوسواس الخناس»[1].

وعن تفسير العياشي بإسناده عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: ما من مؤمن إلاّ ولقلبه في صدره أذنان: أذن ينفث فيها الملك، وأذن ينفث فيها الوسواس الخناس، فيؤيد الله المؤمن بالملك، وهو قوله سبحانه: ﴿**وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾».

١١ ـ ومن أساليب الشيطان (الهمز) وهو الطعن السريع، الذي يتسم بخفة وسرعة، وفي كتاب الله: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ**

---

(١) الميزان ٢٠: ٣٩٧، وبحار الأنوار ٦٠: ١٩٤.

هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾.

وللشيطان بالإضافة إلى هذه الأساليب وسائل كثيرة يتوسل بها إلى إغواء الناس وتضليلهم، يقوى بهم على ذلك. يقول تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾.

جند الشيطان:

لإبليس جند كثير في كل مكان من الجن والإنس يقومون بتنفيذ أوامره، والتلبس على الإنسان، والمكر به، وتضليله وإغوائه. ويصف الله تعالى جند إبليس بأنهم ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

سلطان الشيطان على الإنسان:

ورغم ذلك كله، ورغم هذه الأساليب والوسائل التي تُمكّن الشيطان من إغواء الناس وتضليلهم لم يجعل الله تعالى للشيطان

سلطاناً على الإنسان إلاّ أن يتبعه الإنسان، ويدخل في شركه وحوزة قوته وسلطانه. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾[١].

فليس للشيطان سلطان على الإنسان، وليس له إلاّ أن يدعو الإنسان، فإذا استجاب له، فقد استجاب له بكل اختياره وإرادته، وأوقع نفسه في شركه باختياره... وليس يقهر الشيطان الإنسان في دعوته إلى الاستجابة.

وهذه حقيقة كبيرة، وذات أهمية في علاقة الشيطان بالإنسان، وبالعكس يقررها القرآن. وإنما الإنسان هو الذي يخرج باختياره وإرادته من حوزة ولاية الله تعالى إلى حوزة ولاية الشيطان، فإذا فعل ذلك دخل في سلطان الشيطان، وجعل على نفسه للشيطان سلطاناً.

(١) إبراهيم: ٢٢.

وهذه ثلاث قضايا يقررها القرآن بوضوح:

١ ـ ليس للشيطان سلطان على الإنسان: ﴿**وَمَا كَانَ لِـيَ عَلَـيْكُم مِّن سُلْطَانٍ**﴾.

٢ ـ والإنسان هو الذي يخرج من حوزة ولاية الله، ويدخل في حوزة ولاية الشيطان:

﴿**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء من دُونِ اللّهِ**﴾[1].

٣ ـ فجعلوا عندئذ للشيطان سلطاناً عليهم. يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَـا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ**﴾[2]. ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَـيْسَ لَـكَ عَلَـيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[3].

﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ**﴾[4].

﴿**قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ**﴾[5].

---

(١) الأعراف: ٣٠.

(٢) النحل: ١٠٠.

(٣) الحجر: ٤٢.

(٤) الأنعام: ١٢١.

(٥) الإسراء: ٦٣.

﴿**إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ**﴾[1].

عن الإمام الصادق عليه السلام: (لا يتمكن الشيطان بالوسوسة من العبد إلاّ وقد أعرض عن ذكر الله، واستهان بأمره، وسكن إلى نهيه، ونسى اطلاعه على سره).

---

(١) فاطر: ٦.

٣ ـ المعاذ

وهو الملجأ الأمين الذي يلجأ إليه الإنسان عندما يطارده ويهدده الشيطان، والمعاذ ـ في القرآن ـ على أنحاء وأقسام، واليك بعض هذه الأنحاء.

المعاذ الأول:

المعاذ الأول في حياة الإنسان هو الله تعالى، يعوذ به الإنسان، ويلوذ به فإن الله تعالى سلام يعطي الأمان والسلام لمن يهرب إليه من الشيطان، ولا يستطيع الشيطان أن يمسّ الإنسان بسوء أو شرّ إذا أعاذ الإنسان بالله تعالى.

فهو تعالى السلام المؤمن، الذي يعطي الأمان والسلام لعباده من الشيطان، وهو المهيمن القوي المقتدر الذي لا يعجزه الشيطان.

يقول تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ

الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١].

وقد أمرنا الله تعالى أن نعوذ به من الشيطان الرجيم. يقول تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[٢].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾.

المعاذ الثاني:

المعاذ الثاني في حياة الإنسان هو التقوى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٣].

والتقوى منطقة آمنة في حياة الإنسان، لا يدخلها الشيطان، وهي أن يعيش الإنسان ويتحرك ويعمل في مساحة الحلال،

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) المؤمنون: ٢٣.

(٣) الأعراف: ١٩٩.

داخل حدود الله تعالى، لا يتجاوزها، ولا يتعداها، وليس بإمكان الشيطان أن يتبع الإنسان في هذه المساحة، فإذا احتمى الإنسان بالتقوى حمته التقوى من الشيطان.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «واعلموا عباد الله، أن التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يُحرز من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تقطع حُمة الخطايا»[1].

فالتقوى، إذن حرم آمن لله تعالى في حياة عباده لا يدخله الشيطان، ودار حصن عزيز ـ كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام ـ لا ينفذ إليه الشيطان، والعزيز هو ما لا يمكن النفوذ إليه.

والذنب والمعصية دار حصن ذليل، كما يقول أميرالمؤمنين عليه السلام، والذليل ما يسهل النفوذ إليه، فإذا أطاع الإنسان الله تعالى حمته التقوى من نفوذ الشيطان، وإذا عصى الإنسان الله أذلّ نفسه بالمعصية، فنفذ إلى صدره وقلبه الشيطان.

والتقوى (لباس) للإنسان، وكما يحفظ اللباس الجسم من

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٥٧.

البرد والحر والأذى وعيون الناس، كذلك تحفظ التقوى الروح من الهوى والشيطان.

يقول تعالى:

﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[1].

وكما يحفظ اللباس جسم الإنسان تحفظ التقوى روح الإنسان، وتستر أهواءه وتلطّفها وتهذّبها وتعدّلها، وكما يحفظ اللباس الإنسان يجب على الإنسان أن يحفظ اللباس بالمقابل... كذلك التقوى تحفظه ويحفظها.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيقظوا بها (التقوى) نومكم، واقطعوا بها يومكم، واشعروا قلوبكم، ألا فصونوها وتصوّنوا بها»[2].

(١) الأعراف: ٢٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٩.

المعاذ الثالث والرابع:

المعاذ الثالث والرابع هو الإيمان والتوكل على الله، يقول تعالى:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[1].

المعاذ الخامس:

المعاذ الخامس في حياة الإنسان هو الخلوص لله تبارك وتعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

---

(١) النحل: ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) الحجر: ٣٩ ـ ٤٠.

الفهرس